العرب
الجمعة 2021/02/19
السنة 43 العدد 11976

الثلج يعيد الكبار إلى طفولتهم

لون الصفاء

# الزائر الأبيض يرسم البسمة على وجوه أطفال فلسطين

## نحت التماثيل والتراشق بالثلج وصور السيلفي تبهج الكبار والصغار

يستقبل الناس تساقط الثلج بفرح، يحتفلون به كأيام العيد، يلعبون وينحتون ويلتقطون الصور معه. وفي فلسطين فيما خرج الكبار لصلاة الفجر، خرج الأطفال إلى الساحات مستغلين قدوم الزائر الأبيض وحلوله النادر بينهم يتراشقون بكرياته، التي تمحي الحزن من النفوس.

القدس - استيقظت القدس الخميس على مشهد نادر لمواقعها المقدسة وهي مغطاة بالثلوج، حيث غمر اللون الأبيض قبة الصخرة والحائط الغربي وبرج الجرس الخاص بكنيسة المهد بعد عاصفة ثلجية هبت خلال الليل، كما غطت مدينتي الخليل ورام الله بالضفة الغربية المحتلة.

وقبل أن يحلّ الفجر، كان الأطفال يرشقون بعضهم بعضا بكرات الثلج خشية ذوبانه مع ساعات الصباح الأول، خارج أبواب البلدة القديمة فيما توافد المصلون على الأماكن المقدسة.

وتناقل الفلسطينيون عبر منصات التواصل الاجتماعي مشاهد التساقط الكثيف للثلوج والصور مع أطفالهم، الذين يصنعون من قطع الثلج مجسمات على شكل رجل الثلج في الشوارع شبه الخاوية.

وقال أبوراضي (27 سنة)، "أتينا إلى ساحة القدس الشريف للعب في الثلج.. إنه أمر نادر أن نرى ثلوجا في القدس"، مضيفا، أنه وأبناء جيرانه انتظروا لحظة بدء تساقط الثلوج للزحف إلى الأقصى المبارك والتقاط الصور الأولية له ونشرها على مواقع التواصل الاجتماعي.

وهبت العاصفة الثلجية مساء الأربعاء مما دفع السلطات إلى وقف وسائل النقل العامة وإغلاق الطريق الرئيسي المؤدي إلى القدس، لكن مع تراجع حدة العاصفة خلال الليل، قالت البلدية إنها ستستأنف الخدمات، حتى أن سكانا خرجوا وقادوا سياراتهم للاستمتاع بالمشهد.

وعبّر الطفل أيمن (12 سنة) من الخليل عن حبه وانتظاره لقدوم الثلوج المتوقعة "يا رب ينزل الثلج وتصير ساحات المدينة كلها بيضاء، أحب الثلج لأنه بغطي كل شي مسيء للنظر"، كما عبر عدد من الأطفال عن انتظارهم بفارغ الصبر للثلوج التي توقعتها دوائر الأرصاد الجوية الأربعاء.

> حمل العرب الثلج من بغداد إلى مكة سنة 160هـ، حين حُمل للخليفة المهدي أثناء تأديته للحج في منطقة يندر فيها وجوده

ولشدة تعلقها بأجواء الثلج تابعت سهير (15 عاما) الأحوال الجوية خلال هذا الأسبوع بعد أن علمت أن الثلج وصل إلى لبنان والأردن وسوريا، وسمعت في نشرات أخبار الطقس عن احتمال سقوط الثلوج على القدس الشرقية حيث تسكن، قالت، "ليلة الأربعاء وقفت أنا وإخوتي في ساعات الليل على شبابيك البيت انتظارا للثلوج القادمة، وسهرت برغم أن والدتي كانت تصرخ علينا وتحثنا على النوم، ولكنني كنت أخاف أن يبدأ تساقط الثلوج دون أن أتمكن من مشاهدته".

ومنذ ساعات الفجر الأولى نزلت مع أخيها سامر أقرب إخوتها إليها إلى ساحات المسجد الأقصى ليجدا مجموعة من الأطفال المقدسيين يلعبون ويلهون بالثلج، منهم من يعد تمثالا ومنهم من يضربون بعضهم بكرياته، ومنهم من يأكل الثلج وكأنه آيس كريم في عز الصيف.

أما الطفل إياد (17 عاما) من الخليل فقال، إنه شديد العشق للثلج لأنه يغطي كل شيء ويجعله يكتسي باللون الأبيض، الذي يعتبر لون الصفاء والنقاء، الذي نفتقر إليه في الكثير من الأحيان والأماكن في عالم اليوم.

وأشار إلى أنه استعد للحدث الذي يحتفل به الكبار والصغار، وتسلح بالملابس الدافئة والقفازات وغطاء الرأس وباقي الأمور المتعلقة بالثلج، وشرع في بناء رجل ثلج أبيض أمام المنزل والتقاط الصور معه، مؤكدا أن مثل هذه التماثيل يصنعها الكبار أيضا، من خلال فن النحت بالثلج.

وعبر عن شعوره بالغيرة عندما يشاهد في التلفاز الثلوج التي تتساقط على بعض الدول ولاسيما المجاورة، وظهور الأطفال وهم يلعبون ويمرحون سعيدين بالثلج، الذي يعتبر من أحب الأشياء إلى الأطفال.

وقالت الطفلة نور، إن الثلوج عندما تتساقط يكون الجو باردا جدا، وأشعر أن كل شيء في جسمي قد تجمد، ولكن مع ذلك أذهب مع إخوتي وصديقاتي للعب فيه، ونتراشق به ونتسابق في بناء رجل الثلج الأبيض، وكنا نواجه أحياناً التوبيخ من قبل أهلنا لخروجنا خارج البيت أثناء تساقط الثلوج وفي البرد القارس، حيث كانوا يحذروننا من ذلك بسبب الخوف علينا من التجمد والمرض، ولكن أدعو الله دائما. بأن يسقط الثلوج على مدينتنا لكي يتسنى لنا مشاهدة الأرض مغطية باللون الأبيض الخالص، وتغطية الشوارع وأماكن القمامة وغيرها من الأشياء والأماكن غير الجميلة.

ولا يوجد الكثير عن الثلج في الموروث الفلسطيني الشعبي، ومنبعُ ذلك مُرتبطٌ بطبيعة البلاد التي لا يزورها الثلج بشكلٍ سنويٍ، ويقتصر سقوطه غالباً على المُرتفعات. وإن كانت النصوص التاريخية تُشير إلى أن العرب عرفوا الثلج مُبكّراً، واهتموا بتخزينه لاستخدامه في تبريد الماء.

ولعلّ واحداً من بين هذه النصوص هو خبر حمل الثلج من بغداد إلى مكّة سنة 160هـ، حين حُمل للخليفة المهدي أثناء تأديته للحج في منطقة يندر فيها وجوده.

ومن الأساطير المحكيّة عن الثلج قولهم "إنّ الثلج في الأصل كان ينزل شبيهاً بالدقيق ناعماً لطيفاً، وذات مرةٍ قامت امرأةٌ مُستهترةٌ بمسح طفلها بالثلج فغضب الله من فعلها، وجعله بعدها قاسيا شديد البرودة".

وتلتصق في ذاكرة الكاتب عبدالباسط خلف أجواء فبراير 1992، حين ضربت فلسطين والمنطقة عواصف ثلجية، غطى خلالها الزائر الأبيض بلدته برقين، والتي لا تعلو البحر سوى بنحو 280 مترا.

قال، "يومها، وفي الرابع والخامس والسادس والعشرين منه، شاهدنا شيئا لم نره من قبل، وأخذنا نلهو فيه، ونحتفل بقدومه. ولشدة سعادتنا به، وبعد ذوبانه من بلدتنا، صعدنا إلى الجبال الأكثر علوًا، والمحيطة بنا للمزيد من اللهو، ولالتقاط صور تذكارية".

براءة وبهجة

# قبعة مشاهير العالم التقليدية.. الصناعة في الإكوادور والاسم لبنما

بنما - ما الذي يشترك فيه كل من الممثلة ونجمة المجتمع الأميركية باريس هيلتون والروائي الأميركي الراحل إرنست هيمنغواي؟ الإجابة: كلاهما من محبي ارتداء قبّعة بنما.

وهما ليس وحدهما في حب هذه القبعة ذات الشكل الفريد والمزدانة برباط أسود اللون، فمعهما أيضا نابليون وونستون تشرشل وبول نيومان والممثلة البريطانية ناعومي واتس، وقد يكون كذلك كل شخص يسافر إلى بنما.

ومن بين أسباب الولع بهذه النوعية من القبعات هو أنها تناسب حجم كل رأس، كما أنها تليق بكل المناسبات اعتبارا من الرسمية إلى العادية.

ومع ذلك، فإن الزوار الذين يتطلعون إلى أن يتوجهوا إلى المكان الذي تنتج فيه هذه القبعة سيشعرون بالإحباط، لأنهم سيكتشفون أنه بينما تباع قبعات بنما في متاجر الهدايا التذكارية في مختلف أنحاء بنما، فإنها لا تصنع هناك.

ولرؤيتها وهي تصنع، يتعيّن على الزوار أن يسافروا لمسافة ألف كيلومتر في اتجاه الجنوب ليصلوا إلى الإكوادور، وهي الوطن الحقيقي لهذه القبعة الشهيرة.

وفي هذا المكان تنمو أشجار نخيل توكويلا التي يتم غزل أليافها ونسجها يدويا في عملية مرهقة لتشكيل القبعة.

وهذه الحرفة اليدوية يرجع تاريخها إلى ستة آلاف عام على الأقل وفقا لما يقوله الباحثون، مستشهدين بحفريات تظهر أشخاصا يضعون على رؤوسهم قبعة من القش ذات أطراف مطوية تعرف باسم سومبريرو. وينتشر حاليا في الإكوادور فن غزل ونسج ألياف زعف نخيل توكويلا، ويتركز في مدن مونتكريستي وجيبيجابا وكوينكا منذ القرن السابع عشر، وتعد القبعات التي تنتج في تلك المدن هي الأفضل في العالم.

ويمكن للزوار الذين يتوجهون إلى مصنع هوميرو أورتيغا الصغير للقبعات بمدينة كوينكا، أن يشاهدوا عملية صناعتها خطوة بخطوة.

وتوضح غابرييلا أورتيغا كيف يتم غلي أوراق النخيل الكبيرة في قدور، قبل أن يتم استخلاص قش توكويلا من الألياف، ويتم تفتيح لون القش وجعله خفيف الوزن عن طريق تعريضه لدخان مادة الكبريت، ثم يقوم النساجون بتصنيع القبعة يدويا. وهذه العملية هي أكثر الأجزاء صعوبة في التصنيع.

ويمكن أن يصل سعر القبعة الواحدة من المنتج النهائي إلى ألف دولار، وهي الآن خاضعة للحماية حيث أدرجت ضمن قائمة اليونسكو للتراث الثقافي للبشرية.

قبعة التميّز الاجتماعي

ويعد شراء قبعة منها نوعا من الاستثمار يكون له عائده، حيث يمكن اعتبارها من السلع المعمّرة، كما أنها تحمي من يرتديها من الشمس والمطر أيضا وذلك بفضل أسلوب نسجها. ومن مميزاتها أنه يمكن تخزينها بسهولة إلى حين استعمالها مرة أخرى، وهي تتسم بالمرونة فيمكن طي كميات منها داخل صناديق ضيّقة عند طرحها في الأسواق، بينما تعود إلى شكلها الطبيعي عند استخراجها منها.

ويقول محبو قبعة بنما إنه لا يوجد غطاء للرأس أفضل منها، ونموذجها الفريد من نوعه أنيق ومتفرّد ويتماشى أيضا مع الأزياء العصرية، ومصنوع بذوق رفيع ويتمتع بجودة عالية، كما أنه يمثل الطبقة الراقية من سكان أميركا الجنوبية وأيضا ينمّ عن التألق والمرح. كما أن قبعة بنما تعبّر عن الوضع الاجتماعي المتميّز، ومن بين المشاهير الذين ارتدوها الرئيس الأميركي الراحل تيودور روزفلت، ورجل الأعمال الأسطورة جون روكفلر، كما كان إريك هونيكر رئيس ألمانيا الشرقية في العهد الشيوعي من هواة ارتداء القبعة، حيث كان يحرص على ارتدائها ليس فقط أثناء زياراته إلى كوبا ولكن أيضا أثناء الاستعراضات العسكرية في بلاده وقتذاك.

أمّا كمال أتاتورك مؤسس تركيا الحديثة فقد اتخذ خطوة رسمية لإعلاء شأنها، حيث جعلها غطاء الرأس الأول في البلاد، وأصدر قانونا عام 1925 يحظر فيه على الرجال ارتداء الطربوش العثماني التقليدي، كما اتخذ قبعة بنما لتكون غطاء الرأس المفضل له.

غير أنه لا تزال ثمة نقطة غامضة في الموضوع، وهي لماذا أطلق عليها قبعة بنما بينما هي في الواقع تصنع في الإكوادور؟

ويقول البعض إن الاسم يرجع إلى العمال الذين كانوا يرتدونها لحماية أنفسهم من لهيب الشمس أثناء حفر قناة بنما.

ولكن هناك أقوال أخرى من المرجح أن تفسر سرّ التسمية. منها أنه عندما طلب نابليون الثالث قبعة من القش مصنوعة من ألياف توكويلا عام 1885، تم نقلها بحرا إلى فرنسا من بنما، مما دفع سكان باريس إلى الاستنتاج بشكل خاطئ أن القبعة صنعت في هذه الدولة.

> سعر القبعة الواحدة يصل إلى ألف دولار، وهي الآن خاضعة للحماية حيث أدرجت ضمن قائمة اليونسكو للتراث الثقافي للبشرية

وفي السنوات التالية تزايد الاعتقاد في صحة هذا الخطأ، حيث أن كل السلع التي كانت تأتي من أميركا الجنوبية كانت تشحن إلى الولايات المتحدة من بنما، كما كانت القبعات التي تشحن من الإكوادور تحمل خاتم جمارك بنما.

وبعد أن نشرت صحف العالم صورة للرئيس الراحل روزفلت وهو يرتدي القبعة أثناء زيارته إلى قناة بنما عام 1906، تم التصديق تماما بأنها تصنع في بنما. ولم تعد تعرف سوى باسم قبعة بنما.